العرب
الخميس 2021/05/20
السنة 43 العدد 12064

كيف تلتقي الفلسفة بالعلم والفن في عالم لا يتوقف عن إنكارها

عمان – تتواصل فعاليات مؤتمر جامعة فيلادلفيا بعنوان "الفلسفة في الأدب والفنون والعلوم الإنسانية" الذي تعقده سنويا كلية الآداب في الجامعة عن بعد عبر تقنية "مايكروسوفت تيمز".

ويختتم المؤتمر فعالياته الخميس 20 مايو الجاري حيث يستمر ثلاثة أيام بمشاركة 33 باحثا من جامعات ومؤسسات أكاديمية أردنية وعربية من مصر والمغرب والجزائر والعراق والسعودية وعُمان وليبيا وفلسطين وتونس.

وجاءت المشاركات في موضوعات مختلفة لتغطي محاور المؤتمر التي شملت المدخل المفاهيمي، وفلسفة اللغة ولغة الفلسفة وقضية الفلسفة ومناهج النقد إضافة إلى التعبير الفلسفي من خلال الأعمال الأدبية وفلسفة الجمال، كما يناقش الفلسفة في الفنون، والفلسفة في علاقتها بعلم النفس ونظريات الإرشاد النفسي، علاوة على دور النظريات الفلسفية وأثرها في قراءة التاريخ، وعلاقة هذه النظريات بعلم الاجتماع.

الجامعة تحاول عبر المؤتمر أن تستعيد العلاقة الوطيدة بين الفلسفة والإنسان وأن ترسخ دور الفلسفة في العلم والفن

وأكد رئيس الجامعة الدكتور معتز الشيخ سالم أن الجامعة حريصة على عقد المؤتمر سنويا لتعميق دور الجامعة الأكاديمي ورسالتها في تعزيز البحث المشترك وتبادل المعارف بين الجامعات العربية.

وأشار رئيس اللجنة المنظمة الدكتور محمد عبيدالله، إلى أن هذا المؤتمر كان من المفترض عقده العام الماضي، لكنه تأجل بسبب وباء كورونا، مبيّنا أن اللجنة المنظمة ارتأت أن تعقده عن بُعد حتى لا يتأخر كثيرا لأن الجامعة ترغب في أن يكون مستمرا دون انقطاع.

وبين أن موضوع هذا المؤتمر يأتي في الوقت الذي تظهر فيه القضايا الفلسفية في العالم بوصفها تعميقا للمفاهيم الحديثة التي بدأت تظهر في العلوم، وأحيانا تأخذ شكلا سطحيا، ما قد يكون له تداعيات سلبية على فهم العلوم والتعامل معها والإفادة من تطبيقاتها بما يضمن أن تكون في خدمة الإنسان والإنسانية.

وكانت الفلسفة عبر القرون وتاريخ الأمم مرادفة للعلم والحكمة، ولكن الأمور تغيّرت في العصر الحديث، عصر العلوم الطبيعية والتكنولوجيا، ولم يعد للفلسفة اليوم فضاء فلسفي كما كان سابقا، حين كانت الفيزياء أو علم الأحياء أو حتى علم النفس والاجتماع جزءا من التأمل الفلسفي.

وبات من المهم التساؤل عن مصير الفلسفة وهل ما زالت سبيل الحكمة والمعرفة؟ أم تصّدعت حدودها القديمة واتجهت إلى صور جديدة من السؤال المعرفي، ومن التداخل مع غيرها من الحقول؟

وفي ظل واقعنا الجديد، فإن الصلاحيات التي اكتسبتها العلوم الطبيعية انتهى بها الأمر إلى ممارسة الضغط على الفلسفة بشكل ملموس؛ لأنها حدّت من مساحات فعلها، وكان على الفلسفة أن تقتحم مجالات جديدة للحفاظ على وجودها.

المواضيع التي تدرسها الفلسفة لها علاقة وطيدة بالإنسان، غير أن ما وقع هو ظهور علوم تسمى العلوم الإنسانية، حاولت دراسة الظواهر الإنسانية بمناهج العلوم التجريبية التي تدرس الظواهر الطبيعية، غير أن اختلاف موضوع العلوم الطبيعية عن موضوع العلوم الإنسانية طرح إشكالات في مجال العلوم الإنسانية، من حيث الموضوع والمنهج.

وتأثر الأدب بالرؤى الفلسفية على مرّ العصور كما استعمل الفلاسفة بعض الأجناس الأدبية للتعبير عن نظرياتهم الفلسفية، وقد تمثل ذلك في محاورات سقراط مع تلاميذه، وفي غيره من الأعمال الفلسفية التي اتخذت من الأجناس الأدبية حقلها المعرفي.

وقدم الكثير من المفكرين الفلاسفة مفاهيمهم الفلسفية في أسلوب ممزوج بين أسلوب السرد واللغة الشاعرية خاصة في فلسفة ما بعد الحداثة التي اعتنت بالأدب بصورة خاصة، ذلك أنها فلسفة قامت على الانتفاض على الكثير من المعايير العقلانية الصارمة التي يوليها المنهج الفلسفي اهتماما خاصا.

كما أننا لا يمكن أن ننكر حضور الفلسفة في الخطاب النقدي القديم والحديث، والمكانة التي تشغلها الفلسفة في ميادين فلسفة اللغة، والأسس الفلسفية التي نهضت عليها المناهج النقدية، منذ أرسطو حتى العصر الحديث على أساس نظرة تؤمن بأن النقد، كما العلم، عمل إنساني وجهد تراكمي لا يمكن ردّه إلى فكرة الذوق وحده، وإنما هو معرفة علمية لها فلسفتها الشاملة.

ويبقى السؤال عن دور الفلسفة في الفن سؤالا راهنا في الوقت الذي نجد فيه أن الفن يعتمد أساسا على الخيال والحدس أما الفلسفة فتعتمد على الفكر، فكيف يلتقيان في منتصف الطريق؟ وهناك من يرى أن الفن يشترك مع الفلسفة في هدف أسمى هو التعبير عن أرفع ما أنتجته الشعوب من أفكار وأسمى ما تتوق إليه من مطالب وكثيرا ما شكل الفن الوسيلة المهمّة لفهم الإنسان.

ونستخلص مما سبق ذكره أهمية طرح النقاش حول الفلسفة في علاقاتها المتشابكة بالأدب والفنون والعلوم الإنسانية، هذه العلاقات التي بدأت اليوم تأخذ مناحي أكثر تعقيدا قد تهدد الفلسفة في وجودها الخاص، وقد تذهب بها إلى مجالات أخرى بأشكال جديدة تواكب العصر الذي لا يعترف بصرامة الحدود الأجناسية.

الفلسفة واللغة علاقة معقدة (لوحة للفنان خالد الساعي)

خمسة قرون من مشروب الصوفيين السحري الأكثر تأثيرا في عالم الأدب

«تاريخ القهوة العربية» يكشف عن سرّ ارتباط القهوة بالثقافة

القهوة ليست مجرد مشروب

القهوة ليست مجرد مشروب، إنها ثقافة كاملة، وهو ما يثبته تاريخها الحافل بالجدل والذي تحلّق حوله المبدعون من أدباء وشعراء ورسامين وغيرهم. لقد ألهمت القهوة وطقوسها هؤلاء، فنجدها حاضرة عن جدارة في الشعر والأدب وفي اللوحات والأغاني، وحتى في الجلسات الثقافية، حيث منذ نشأة بيوت القهوة والمقاهي وهي قبلة للحركات الفنية والأدبية وملتقى للمثقفين، ومازالت تقاوم طمس معالمها إلى اليوم.

محمد الحمامصي
كاتب مصري

القهوة العربية تاريخ حافل بالعادات والتقاليد، القيم الاجتماعية والثقافية، الذكريات، والحضور الإنساني والجمالي والفني في الأغاني والقصائد واللوحات.. هذا التاريخ يحكيه الشاعر محمد غبريس في كتابه "تاريخ القهوة العربية" حيث يتتبع قصّة اكتشاف القهوة العربية ومراحل تطوّرها ويغوص باحثا عن أصولها وجذورها، ويستعرض سرّ انتشارها عربيا وعالميا وتحوّلها من مشروب عادي بسيط إلى تقليد عالمي إنساني مدهش، لتصبح مع الوقت رمزا من رموز الكرم والضيافة، وتلعب دورا مهمّا في حياة المجتمعات على اختلافها، وفي التعبير عن القيم الاجتماعية والثقافية.

ويتناول غبريس طرق إعداد القهوة وتحضيرها والطقوس المتبعة في تقديمها وشرابها، وهي تختلف بين منطقة وأخرى. ووفقا للعادات والتقاليد، فالقهوة هي التي شجعت على تأسيس المقاهي لتنتشر في كل أنحاء العالم، وتحتضن أهل الفكر والثقافة والفن. ويسلّط الكتاب الضوء على أهمية القهوة في الشعر الفصيح والشعبي مستعرضا مجموعة من القصائد لعدد من الشعراء العرب الذين احتفوا بالقهوة العربية، ونهلوا من مفرداتها العذبة، ووجدوا فيها ملاذا يسكنون إليها، ويطمئنون بنكهتها ورائحتها، وجعلوها طقسا أساسيا من طقوس القراءة والكتابة.

تاريخ جدلي

يشير غبريس في الكتاب الصادر حديثا عن دار "المحيط للنشر" في إمارة الفجيرة، إلى أن القهوة كانت ولا تزال رفيقة المبدعين التي لا تفارق لحظات تجليهم ووميضات فكرهم، وهي الساهرة على كتاباتهم ونزيف أقلامهم، والشاهدة على كل دمع سكبوه، وكل حرف عانقوه، وكل حبّ حولوه، إما إلى قصيدة تفيض بالحنين، أو إلى وحة تتلألأ بالذكريات، أو قطعة موسيقى تبعث على الأمل، أو فيلم يشعّ بالدهشة، وهي أيضا النافذة التي تنفتح على البهجة والأفكار واليقظة، تتسلل تحت الجلد وتذوب في الأنفاس. وحدها القهوة تبقى حين لا يبقى أحد، وحين يشتدّ الحزن، ويضيق الكون، ويموج اليأس. وحدها تتّسع لكل الأحلام والرؤى في كوب صغير يحفظ أسارير اليدين ومتاهات الشفتين، بها يلملم الشعراء حبّات الوقت، ويطلون وجوههم بالصباحات المشرقة، وبها يطلقون خيالاتهم في فضاءات الحكمة وآفاق الكلمة.

ويؤكد أن القصص والحكايات تعدّدت حول مكان اكتشاف القهوة وتضاربت المعلومات عن بداياتها، منها ما ارتبط بالأسطورة، ومنها ما امتزج بالخرافة، وقد ظلّ الناس يتناقلونها ردحا من الزمن، لكن الوقائع والشهادات التاريخية تقول غير ذلك، وأثارت الكثير من التساؤلات والتفسيرات، وبيّنت لاحقا تاريخ اكتشافها ومكان وجودها، وأشارت إلى طريقة انتقالها والتعرّف إلى خصائصها بالصدفة، من بين هذه القصص ترى إحداها أنّ الشيخ العارف بالله أبا بكر بن عبدالله الشاذلي المعروف بـ"العيدروس" الذي عاش جلّ عمره في اليمن، هو مبتكر القهوة المتخذة من البنّ. ومن هنا نلاحظ أنّ انتشار القهوة حسب هذه الرواية أو تلك، قد جرى في وقت متقارب نهاية القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر بواسطة الصوفيين.

ويقول "لما كان المتصوّفة دائمي السياحة والتنقل، فقد استطاع عشّاق القهوة نشر مشروبهم في مختلف الجهات بسرعة فائقة، فتغلغلت في أرجاء الجزيرة العربية، وامتدّت إلى مصر، والشام، والعراق، فشربوها في الحرم الشريف بمكة وفي المدينة المنورة وفي الأزهر، وغيرها من الجوامع".

ويتابع غبريس لافتا إلى أنه "ما كان للقهوة هذا التأثير والتغلغل في الحياة الشعبية لولا الدور الذي لعبته اجتماعيا وصحيا، كما كان لفوائدها صدى كبير في المجتمعات العربية، وسرعان ما اكتسبت مكانة عالية عند محبيها وأنصارها، واستطاعت أن تكون مادّة غنية واسعة في كتب الأدب والتراجم، لما لها من خصائص وطقوس وفنون، فقد ارتبطت بالضيافة والكرم والمروءة، واحتشدت بمعاني التفاؤل والتواصل، وامتلأت بالدفء والخشوع والعبادة، فيما دخلت في تفاصيل الحياة اليومية، وعبقت بين المواقف والأحداث، فامتدت جذورها إلى عمق المعتقدات، فكانت زينة المجالس وفتنة السمار وسلوة العشاق والغرباء". ويرى أنّ المكانة الفريدة التي حقّقتها القهوة في المجتمعات العربية ليس لأنها فقط رمز من رموز الكرم والضيافة والفروسية، بل لأنها تتميّز بفوائد صحية واستخدامات متنوّعة في الطبّ الشعبي، فهناك من قال إنّ القهوة تساعد على هضم الطعام بعد تناوله، فيما اعتبر آخرون أنّ مسحوق "البنّ" يمكن استخدامه لإيقاف نزف الدمّ عند الإصابة بالجروح.

ويلفت غبريس إلى أنّ القهوة اقترنت في الثقافة العربية بمضامين روحية ودينية، وبمشاعر ومظاهر تعبّر عن الإيمان والعبادة، والطقس الاجتماعي الديني، وهو ما تجلّى عند الصوفيين الذين أغرموا بها، وعشقوا رائحتها، وأجلّوا رمزيتها، فكانت تساعدهم في السهر بالليل لأداء فرائضهم الدينية، وتستحثّهم على الخير والتقوى والتوصّل إلى "الفتح" في العبادة كما يقولون وهو بلوغ أسمى آيات التعبّد والتهجد.

ويتوقف غبريس عند تحريم وتحليل القهوة حيث شهدت على مرّ القرون سجالا حادًا وجدلا كبيرا حولها، بين معارضين ومؤيدين، ذهب الطرف الأول إلى حدّ القول إنّ القهوة حرام، واعتبارها خمرة مسكّرة تُذهب العقل، ومشروبا يحثّ على الرذيلة، بينما اعتبرها الطرف الثاني مشروبا طبيعيا لا ضرر فيه، ودعا إلى الاستمتاع بها، وجعلها رمزا من رموز التواصل الاجتماعي.

كذلك يتطرق غبريس إلى الإنتاج الفقهي والأدبي الخاص بالقهوة، من كتب ومخطوطات ورسائل وفتاوى، منها ما يحتفي بالقهوة ومكانتها، ومنها ما يعدّد فوائدها وخصائصها، ومنها أيضا ما يتناول عاداتها وتقاليدها، حيث أثرت المكتبة العربية على مدى تاريخ طويل، وما زالت تثري وتولد الأفكار وتؤثر في المشهدين الثقافي والأدبي. ومن المؤلفات يذكر "إيناس الصفوة" للعيدروس، و"اصطفاء الصفوة لتصفية القهوة" لأبي الحسن محمد البكري الصديقي، و"إتحاف بني الزمن في حكم قهوة اليمن" للزبيدي، و"رسالة في أحكام القهوة" للسيوطي، و"رسالة في الشاي والقهوة والدخان" لجمال الدين القاسمي، و"تذكرة أولي الألباب والجامع للعجب العجاب" لداود الأنطاكي.

القهوة والشعر

بعد ذلك يتوقف غبريس عند القهوة العربية في دولة الإمارات التي تعدّ عنوانا للكرم والضيافة والفروسية، وهي عناوين شكّلت أهم العناصر الأساسية في الحضارة العربية، وأحد رموز شخصيتها في كلّ مكان، وقد اتخذت الإمارات من ضيافة القهوة تقليدا وطنيا أصيلا يشتمل على حفاوة الاستقبال، وحسن الوفادة، والإكرام المميز، إنها عنصر من عناصر التراث الإماراتي الخالد وإحدى أخلاقيات الأجداد النبيلة.

الكتاب يبرز أهمية القهوة في الشعر الفصيح والشعبي، مستعرضا مجموعة من القصائد التي تحتفي بالقهوة العربية

ثم يتطرق إلى دواوين القهوة التي عرفت تاريخيا بدورها القبلي ومكانتها الاجتماعية والثقافية، وكانت تستخدم سواء للتسلية، أو الاحتفال، أو التواصل، أو لمناقشة القضايا وحلّ النزاعات، وكان يجتمع فيها الناس من كافة الفئات وطبقات المجتمع، يتقدّمهم بعض الشعراء فينشدون قصائدهم على رائحة القهوة المنبعثة من الدلال وبصحبة صوت الربابة المفعم بعبق الصحراء.

ويتوقف الكاتب أيضا عند بيوت القهوة – المقاهي حيث اكتسبت منذ إنشائها أدورا مختلفة، منها كفضاء للتواصل والتلاقي، ومنها للتسلية والترفيه، وأخرى كمتنفس ومساحة للحوار والإبداع، وقد ارتبطت بتحولات المدن وتطورها، وبالظروف السياسية التي أحيطت بها، بعضها اقترن بأسماء وشخصيات فكرية وأدبية، والبعض الآخر جسّد الهوية والتراث العربيين، وأصبحت المقاهي منابر لصنع التغيير وإطلاق الثورات، إذ كل مقهى منها يمثل وحدة سياسية، واقتصادية واجتماعية وإنسانية.

ويسلّط غبريس الضوء على أهمية القهوة في الشعر الفصيح والشعبي مستعرضا مجموعة من القصائد لعدد من الشعراء العرب الذين احتفوا بالقهوة العربية، ونهلوا من مفرداتها العذبة، ووجدوا فيها ملاذا يسكنون إليها، ويطمئنون بنكهتها ورائحتها، وجعلوها طقسا أساسيا من طقوس القراءة والكتابة.

ويختم بالإشارة إلى تحوّلات القهوة، موضحا أنها تغيّرت في عالمنا اليوم، وتأثّرت بتحوّلات العصر، وسيادة أفكار وثقافات جديدة، وأصبحت تقدّم بنكهات وأشكال لا تعدّ ولا تحصى، أفقدت رونقها وروحها وخصوصيتها، كذلك تعدّدت أماكن شربها بدءا من المقاهي الفخمة الشهيرة وصولا إلى المقاهي المحلية البسيطة، وتعددت طرق تقديمها بأساليب حديثة وسريعة تبعدها عن أصالتها وهويتها، وتفرغها من أسرارها.